ثم يبدأ اطلاعها على أخباره خلال الأسبوع المنقضى منذ آخر مرة رآها، يمط شفتيه، ينطق لومًا أو شكرًا أو يرسل إليها قبلة مستأذنًا بضع ثوان، يأتى بقميص اشتراه، يرفعه أمامها لتبدى رأيها فيه، نوعه، لونه؟ يؤكد أنه لن يقدم على أى فعل إلا بعد استئذانها، يتردد إليها ناطقًا كلمات التدليل أو أصوات لا تعنى شيئًا. لم يتخيلها عارية، ولم يمسها بخياله، لم تطرقه أى إثارة عند ظهورها بفستان يشى باستدارة كتفيها ومفرق نهديها المنبئ، الماضى، إنها للملاغاة والنجوى، لطفها يهدهده، ظهورها يريحه، يطمئنه، عندما تتطلع من خلال بصة معينة، اتجاهها من تحت إلى فوق، يشكرها، إنها النظرة التى يتوقعها، يعتبرها خاصة به، إذ توشك على الختام يلوح بيده، مرسلاً قبلاته عبر الفراغ.

أما تلك الإيطالية المدملجة، المكمورة بالرغبة، المبطرخة فيختلف الأمر معها، مفخخة بالبث المروع، عند ظهورها يتجرد من ملابسه تمامًا، يطلق أصواتًا بدائية، تتنوع، تتغير ما بين مواء وشخير وزقزقة، يظهر من الحركات عجبًا، يزحف تارة، يقفز، يقف على ساق واحدة، يدير ظهره ثم يئن ويهذى.

اللبنانية لها ملامح القطيطة، غلامية، أنثوية، جمعت الحدين معًا، يحار فى ملامحها، تكوينها، ابتسامتها وفلاجة أسنانها، تبسط أحواله وتشدها، يصرخ متعجبًا:

«من أين جاءوا بك.. من أين؟»

يضرب كفًا بكف، يميل يمينًا وشمالاً، يتثنى، وعندما توشك على الانتهاء يقبل الشاشة راجيًا ألا تذهب، ألا تختفى، إنها تؤنسه، تلعلع وحدته بحضور قوى، بعدها يمكث ساعة أو ساعتين بدون حركة، يتقن